آدم خُلق أولًا – وهذا يعني ...

مارغ موفتشكو (Marg Mowczko) · الترجمة الألمانية: Hans-Jörg Ronsdorf · نوفمبر/تشرين الثاني 2022 · رُوجعت في أكتوبر/تشرين الأول 2026

حق البكورية والنظام الأبوي

كنت أتحدث أمس مع شاب، وفي أثناء حديثنا أوضح أنه يعتقد أن الكتاب المقدس يعلّم «نظامًا أبويًا لطيفًا ما دمنا على الأرض». ومن أسباب إيمانه بهذا «النظام الأبوي الليّن» أنه يرى قاعدة البكورية جزءًا من خطة الله للمجتمع، ويُعدّ آدم النموذج الأمثل لها، لأنه خُلق قبل حواء.

بحسب قاموس Merriam-Webster Dictionary، يمكن أن يكون لـ«حق البكورية» (Primogenitur[1]) معنيان. فقد يعني ببساطة (1) «حالة كون المرء البكر بين أولاد الوالدين أنفسهم»، مع تبعات مختلفة، أو قد يعني (2) «حقًا حصريًا في الميراث يعود إلى الابن الأكبر». وبحسب التعريف الأول يمكن أن يُفهم آدم وحواء على أنهما ولدان للوالد نفسه، أي لله، ويكون آدم هو البكر (لوقا 3: 38؛ قارن 1 كورنثوس 11: 12).

يخبرنا التكوين 2 و1 تيموثاوس 2: 13 (وهو تلخيص للتكوين 2) أن آدم (أو ha'adam) خُلق أولًا وحواء ثانيًا. ولكن هل تشير هذه النصوص الكتابية إلى أن هذا الترتيب له أهمية وأنه جزء من خطة الله لتشكيل العلاقات؟ **هل تشير إلى وجود نمط مستمر للبكورية أو لأولوية الرجل في المرتبة الأولى والمرأة في المرتبة الثانية؟** هل تفرض هذه النصوص بطريقة ما سلطة ذكورية حصرية أو نظامًا أبويًا لطيفًا؟ هل تشير إلى «حق حصري في الميراث» لآدم يستبعد حواء؟

5 أسباب تجعل حجة البكورية غير صالحة

إن ربط النظام الأبوي بين المسيحيين بالبكورية في سفر التكوين مليء بالمشكلات. وإليكم خمسة أسباب تجعل هذه الحجة غير صالحة.

1. بعد العملية الموصوفة في التكوين 2: 21-22، لم يعد الإنسان الأول في عدن كما كان عندما خلقه الله أول مرة. فقد أُخذ من جسده جزء أو جانب[2]، وصار جزء منه مفقودًا الآن، وأصبح مكوّنًا أساسيًا في المرأة. وهذا النقل لجزء مهم من جسد آدم (أو ha'adam) إلى حواء يجعل فكرة أن الرجل هو الأول والمرأة هي الثانية أقل وضوحًا وحسمًا.

2. البكورية تتعلق بترتيب الولادة، لكن لا آدم ولا حواء وُلدا؛ بل خلقهما الله كليهما. ولا توجد آية في الكتاب المقدس تقول إن آدم كان «البكر».

3. كانت عادة البكورية جزءًا من مجتمعات قديمة كثيرة، ومنها المجتمع الإسرائيلي، لكنها كانت تخص الأبناء الذكور فقط، لا البنات، ولا النساء.

4. لم تلتزم عائلات كتابية بارزة كثيرة بهذه العادة.

تكتب سينثيا وستفول (Cynthia Westfall) عن هذه النقطة الرابعة.

> في رواية سفر التكوين كلها يتّضح منذ البداية أن من وُلد أو جاء أولًا لم تكن له بالضرورة السلطة. فقد تكرّر تجاوز البكورية بين الإخوة، بحيث لا يمكن الاستناد إلى سفر التكوين حجةً للسلطة الذكورية لأن آدم جُبل أولًا. فقايين وُلد أولًا، لكن هابيل نال رضى الله. وعيسو وُلد أولًا، لكن الله اختار يعقوب. ورأوبين وُلد أولًا، لكن نسل المسيح جاء من يهوذا، ويوسف هو الذي أنقذ العائلة وتولّى السلطة عليها. ومنسّى كان بكر يوسف، لكن يعقوب وضع يده اليمنى على رأس أفرايم ليقول إنه سيكون أعظم.

وتُظهر أسفار أخرى من العهد القديم أيضًا أن الله منح إخوة أصغر سنًّا سلطة أكبر من إخوتهم الأكبر سنًّا. فعلى سبيل المثال، كانت لموسى سلطة أكبر من سلطة أخيه الأكبر هارون؛ وكان داود أصغر أبناء يسّى، لكن الله اختاره ملكًا على إسرائيل؛ وصار سليمان خليفة داود، مع أنه لم يكن ابن داود البكر.

لم يلتزم الإسرائيليون بعادة البكورية التزامًا صارمًا ولا عامًّا. والأهم من ذلك أن الله لم يراعِ هذه العادة في بعض الحالات المهمة. وفي الخروج 4: 22 يتحدث مجازيًا عن شعب إسرائيل كله (لا عن الرجال وحدهم) على أنه ابنه البكر.

5. ومن المهم أن مفهوم البكورية لا مكان له بين أتباع يسوع في الخليقة الجديدة. بل علّم يسوع أن في ملكوته «يكون الآخرون أوّلين والأوّلون آخرين» (متى 20: 16). وعلّم أيضًا مبادئ أخرى مماثلة مخالفة للثقافة السائدة وتحقّق التوازن.

البكورية ويسوع

في ملكوت الله الذي ننتمي إليه، الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يطالب بحق البكورية هو يسوع نفسه. وتشير وستفول إلى أن «يسوع هو البكر بيننا جميعًا» نحن الذين في المسيح (رومية 8: 29؛ كولوسي 1: 15، 18)، وأن هذه الحقيقة «تجعل العلاقات بين أتباعه نسبية». **بعبارة أخرى، تسود المساواة بين أتباع يسوع، لأننا نتشكّل على صورة أخينا الأكبر بصرف النظر عن جنسنا.**

البكورية ليست ديناميكية أدخلها الله في المجتمع أو أقرّها يسوع.[3] وفوق ذلك أبطل بولس فكرة أن للرجال مكانة خاصة أو امتيازًا لمجرّد أن آدم خُلق أولًا. ففي 1 كورنثوس 11: 12 يعلّم بولس أنه وإن كانت المرأة الأولى قد أتت من الرجل الأول، فإن كل رجل آخر وُلد من امرأة. ثم أوضح: «ولكن جميع الأشياء هي من الله». فالرجال والنساء على السواء مصدرهم في النهاية هو الله. **لا يوجد هنا فرق بين الجنسين، بل اعتماد متبادل بين الجنسين.**

> **1 كورنثوس 11: 11-12 غير أن الرجل ليس من دون المرأة، ولا المرأة من دون الرجل في الرب. لأنه كما أن المرأة هي من الرجل (آدم)، هكذا الرجل أيضًا هو بالمرأة (قايين وما بعده)؛ ولكن جميع الأشياء هي من الله.**

ليست للرجال سلطة أعلى ولا ميراث أفضل مما لأخواتهم. بل سنشترك جميعًا في ميراث رائع (أفسس 1: 21-22). فالرجال والنساء المسيحيون ورثة معًا، من دون أدنى أثر للبكورية، بل نحن ورثة مع أخينا الأكبر يسوع (رومية 8: 16-17)!

إن الحقائق اللاهوتية المذهلة عن العهد الجديد وعن خليقتنا الجديدة في المسيح لها أثر مباشر في علاقاتنا الحالية داخل جماعة أتباع يسوع. **ففي هذه الجماعة، أي الكنيسة، لا ينبغي أن يكون مكان لتراتبية بين الجنسين أو لنظام أبوي من أي نوع.**

ويعلّق ب. ت. روبرتس (B.T. Roberts) على المرأة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد الرجل بما يلي.

يُلَحّ [من قِبل البعض] على أن الكتاب المقدس يصوّر المرأة أدنى من الرجل وخاضعة له؛ ولذلك لا ينبغي أن يُسمح لها بأن تشغل مكانة مساوية له، لا في الكنيسة ولا في الدولة. ويُستشهد على ذلك بأن المرأة خُلقت أخيرًا. ولكن إن كان هذا يُثبت شيئًا، فهو يُثبت تفوّقها. فقد سار عمل الخلق في تدرّج منتظم من الأدنى إلى الأعلى.

ب. ت. روبرتس، Frauen ordinieren (1891)

الأصل: مارغ موفتشكو (Marg Mowczko)، «Adam was created first and this means …»، 3 مارس/آذار 2017، https://margmowczko.com/adam-created-first/ – تُرجم إلى الألمانية بإذن كريم من الكاتبة.

الحواشي

1. يدلّ مصطلح Primogenitur (البكورية) في اللغة الاصطلاحية على نظام الإرث الذي لا يرث بموجبه ميراثَ الشخص المتوفّى ويخلفه قانونيًا إلا الولد البكر، بينما لا يُلتفت إلى إخوته الأصغر سنًّا. ووارث الولد البكر وخلفه القانوني هو بدوره ولده البكر. Wikipedia
2. الكلمة العبرية tsela، التي تُترجم تقليديًا في التكوين 2 بـ«ضلع»، تعني عادةً «جانب». (انظر رقم سترونغ (Strong) 6763.) ويوضّح جون هـ. والتون (John H. Walton) أنه إذا نظرنا إلى كيفية استخدام كلمة tsela في مواضع أخرى من الكتاب المقدس العبري، «فلا بدّ أن نستنتج أن الله أخذ أحد جانبَي آدم – وهو ما يعني على الأرجح أنه شقّ آدم نصفين وكوّن المرأة من أحد الجانبين». Walton, The Lost World of Adam and Eve (Downers Grove: InterVarsity Press, 2015), 78.
3. **لا يذكر يسوع أبدًا شيئًا من قبيل نظام خليقة يكون فيه الرجل في المرتبة الأولى والمرأة في المرتبة الثانية. ففي الأناجيل يقتبس من التكوين 1، حيث يُقال إن الرجال والنساء خُلقوا في الوقت نفسه. ففي متى 19: 4 مثلًا يسأل يسوع الفريسيين: «أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى؟ ويقتبس يسوع أيضًا من التكوين 2: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسدًا واحدًا». لقد علّم يسوع الوحدة (أي الاتحاد) في الزواج؛ ولم يعلّم أن في الزواج سلطة ذكورية أو تراتبية بين الجنسين، أو أنه ينبغي أن تكون فيه (متى 19: 5-6.**